كاتب من العالم

أن نودِع تراثنا الأدبيّ للعالم

إيمانويل بيـيرا

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في اسئلة سريعة حول انشغالاته الإبداعية وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع القارئ العربي. «يَحُول غياب التمويل احياناً دون إنجاز مشاريع ادبية كثيرة، وهو امرٌ فيه خسارةٌ ثقافية» يقول الكاتب الفرنسي في حديثه الى «العربي الجديد»

إيمانويل بيرا في 2007 (Getty)

باريس ـ **العربي الجديد**

من أجل الكتّاب وحقوقهم

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي والثقافي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

المشهد الأدبي والثقافي الفرنسيّ واحدٌ من الأكثر ثراءً في العالم، ويشهد على هذا توهّجه عبر العصور. سرُّه يكمن في قدرته على تجديد نفسه بما يتناسب مع التغيّرات الحاصلة في المجتمع ولدى الأفراد. وهذا ما نراه اليوم، بالمناسبة؛ حيث يُظهر الأدب تكيُّفه مع وسائل الإعلام الجديدة وعصر الرقميّات.

■ كيف تقدّم عملك لقارئ جديد، وبأيّ كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

أخذتُ مبكّراً بفكرة تأليف الكتب، وبدأتُ الأمر، بحذر، عبر وضع كتب دراسية حول الحقوق والقوانين، ثم تجرّأت على كتابة روايتي الأولى. لهذا، ترتبط كتاباتي أحياناً بعَمَلي كمحام، وكذلك بالرحلات والإقامات التي أقوم بها، وخصوصاً في آسيا. أنصح القارئ بأن يبدأ بروايتي الثانية، «سباقٌ نحو النّمر» (2003)، التي تدور أحداثها في مدينة كلكتا في الهند، حيث عشتُ مدّة.

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

من الأسئلة التي تشغلني هذه الأيام، ثمة، بكلّ تأكيد، ذلك السؤال المتعلّق بجائحة كورونا. أنني، كمدافع شرس عن الثقافة، متأثر بشدّة بالإغلاقات المتكررة للفضاءات الثقافية في فرنسا.

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنّى تغييره فيها؟

أنا مغرَمٌ بالتاريخ، التاريخ المطرّز بما أنتجته العبقرية البشريّة: إنّه محرّكٌ وقوّة دافعة بالنسبة إليّ. رغم ذلك، أعتقد أنه لا بدّ من إدخال تغييرات على الطرُق التي يجري من خلالها إتاحتُه، كي يكون في متناول الجميع، ولا سيّما في الأوساط الشعبيّة.

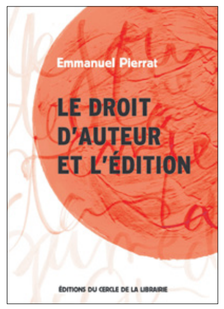

■ لو قُيّض لك البدء، من جديد، أيّ مسار كنتَ ستختار؟

عندما كنتُ طالباً في كلّية الحقوق، ولكي أستطيع تأمين مصاريفي الدراسية، عملتُ لعدّة سنوات كمساعد برلماني. ورغم أنّ هذا العمل راقني كثيراً، وأنّه جرى انتخابي ممثّلاً عن الدائرة السادسة في باريس، إلّا أنني كنت سأختار المسار نفسه الذي اتخذته.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

بصفتي محامياً، يمكن لي أن أمارس بعض التأثير على المجتمع، من خلال النجاح في الحصول على قرارات في صالح القضايا التي أكافح من أجلها.

■ شخصية من الماضي تودّ لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

الإسكندر المقدوني، أو الإسكندر الكبير. لقد فرض سيطرته على إمبراطورية هائلة امتدّت حتى الهند ، التي عشتُ فيها عدّة أعوام ، ما جعل منه شخصيةً من أكثر الشخصيّات إذهالاً في التاريخ القديم.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

كثيراً ما يُعاني الكتّاب، ومعهم الفنّانون، من ضيق سبُل العيش. ليس أمراً سهلاً أن يعيشوا من عملهم الإبداعي. كما يَحُول غياب التمويل أحياناً دون إنجازهم لمشاريعهم الأدبية، وهو أمرٌ فيه خسارةٌ وأسفٌ كبيران للثقافة العالمية.

■ ما هي قضيتك وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

محامٍ متخصّص في حقوق الملكيّة الأدبية والفنّيّة، أدافع عن كلّ القضايا المتعلّقة بالثقافة، كحقّ الفنانين في أن يُعترَف بفنّهم وأن يجري تثمينه، على سبيل المثال. يمكن للكتابة أن تكون قضيّةً بذاتها إذا ما عرفنا أن العديد من البلدان ما يزال يسجّل نسبة مرتفعة جدّاً من الأمّيّة، التي تمثّل بدورها عائقاً للوصول إلى الأدب.

■ «الأدب العالمي يكتبه المترجمون». إلى أي درجة توافق على هذه المقولة؟ وإلى أي درجة كَتَبَكَ المترجمون؟

الترجمة عملٌ شديد الصعوبة والخطورة؛ ذلك أنّ «الترجمة تعني الخيانة»، كما يُقال. على المترجم أن يكون لامعاً بما يكفي ليقنعنا بأن نغفر له هذه الخيانة. وهو تحدٌ قلّة خوضه عبر ترجمة ثلاثة مؤلّفات: اثنان من الإنكليزية وواحدٌ من البنغالية.

■ كيف تصف علاقتك مع اللغة التي تكتب بها؟

أغلب الأعمال التي وضعتُها مكتوبٌ بلغتي الأمّ، الفرنسية. لديّ علاقةٌ خاصة بهذه اللغة، باعتبارها اللغة التي دخلت من خلالها عالم الأدب قارئاً، والتي استخدمتها، لاحقاً، للكتابة.

■ كاتب منسيّ من لغتك تودّ أن يقرأه العالم؟

في العام الماضي، 2020، أخذت الأوساط الأدبية ذكرى مرور 150 عاماً على رحيل الكسندر دوما، المولود في عائلة مختلطة الأعراق. ما يزال يُنظر إلى دوما ككاتب شعبيّ، وهو ما قد يرمي إلى أنّه ليس بذلك الكاتب الكبير. هذه الذكرى كانت، بالنسبة إليّ، مناسبةً لتكريم ذلك الكاتب العظيم، ولإعطائه المكانة التي يستحقّ، جنباً إلى جنب مع صديقه فيكتور هوغو.

> أتمنّى أن يراني القرّاء ككاتب وكمحامٍ يدافع عن الثقافة

> العربية لغةٌ رائعة تحمل في داخلها توجّها نحو الكونيّة

بطاقة

وُلد إيمانويل بييرا عام 1968 في مقاطعة فال دو مارن القريبة من باريس. إلى جانب عمله كمحام، نشر العديد من الكتب الهادفة لإتاحة القوانين ومفاهيم العدل والحقوق للجمهور العريض. وقّع بييرا أعمالاً أدبية ومحاولاتٍ عدّة، من بينها: «سباقٌ نحو النمر» (2003)، و«سعادةٌ أن تعيش في الجحيم» (2004)، و«فهْمُ الفنّ الأفريقي» (2008)، و«محكمة التنّين» (2015). وهو أيضاً رئيس «نادي القلم».

■ لو بقي إنتاجك بعد 1000 سنة، كيف تحبّ أن تكون صورتك عند قرّائك؟

الكتابة وسيلةٌ نودع من خلالها تراثنا الأدبيّ للعالم. أتمنّى أن يستطيع قرّاءُ أعمالي المستقبليّون رؤيتي ككاتب ومحامٍ يدافع عن الثقافة.

■ كلمة صغيرة شخصية لقارئ عربي يقرأ أعمالك اليوم؟

العربية، مثل الفرنسية، لغةٌ رائعة، تحمل في داخلها توجّهاً نحو الكونيّة. لنتمنّ، إذاً، ألّا يواجه القارئ العربيّ أيّة صعوبة في دخول عوالمي.

إطلالة

إطلاق زبانية الجحيم الأرضي

محاكمة السياسة للأدب

لكل اتجاه سياسي دعواه في امتلاك الصوابية يدافع عنها بكافة الوسائل، ولقد تنازع العالم في القرن الماضي صوابيتان، كانتا على طرفي نقيض

فوّاز حداد

في القرن الماضي، سُجلت سابقتان مشهورتان من محاولات السياسة محاكمة الفنّ والأدب، هما الجدانوفية والمكارثية، كانتا على تضاد مع حرية الفكر، تولتهما الدولتان الأعظم، وكانت لهما أياد سوداء على الثقافة والمثقفين، ففي روسيا عولجت بالإعدامات والمنافي، وفي أميركا بجلسات تحقيق واتهامات بالخيانة وطرد المشبوهين من العمل، والقضاء على مستقبلهم.

ما كان لافتاً في الدول ذات التوجه الاشتراكي، ادلجةُ الثقافة وجعلها في خدمة السياسة وبناء الدولة الشيوعية، إلى أن ابتكر الالتزام كصيغة مقبولة من اليسار، ثم جرى تصحيحها إلى الالتزام بالقضايا الإنسانية، كعنوان عريض، فلم يعد الكاتب أو الفنان يتحرك في فراغ من القيم.

في المجال نفسه، هل يحق للأديب إبداء آراء سياسية؟ نعم، بصفته مثقفاً، يهتم بالشأن العام، ويحاسب على آرائه، ولا يحق له التذرع بما يكتبه من أدب، ما دام أنه كرّس فكره لتناول سياسات واقعية. صادفنا هذا الموقف مع شعراء وأدباء، استُنكر ما صرّحوا به حول الثورة، وانتقادهم خروج المظاهرات من المساجد. ركب الموالون برابهم، واتخذوه ذريعة لأسلمة الثورة، واتهموها بالأصولية والإرهاب. تفاقم النقاش إلى حدود توجيه الاتهامات بالخيانة والطائفية، كانت إدانة للثورة في عزّ انطلاقتها الشعبية، ولم تكن أكثر من مظاهرات واعتصامات، تطورت إلى ثورة سلمية يقودها شبان عزل، شارك بها الأهالي، بينما كان النظام يرتكب المجازر.

طاولت الانتقادات الإنتاج الأدبي والفكري للأدباء الذين أظهروا عداءهم للثورة، عندما كانت لا تزيد عن احتجاجات بعد، وكان الرد عليها، التذرع بأدبهم وقاماتهم الفكرية، في الدفاع عن آرائهم السياسية، وكأنما يشفع لكليهما دعواهم. بينما كان الخلاف سياسيًا، وفي الواقع انحياز إلى موقف سياسي له وقع على الأرض. وإذا كان يصح انتقاده، لكن لا يجوز التعرض إلى إنجازهم الأدبي واعتباره سنداً لهم، وليس هذا امتيازاً أو استثناء وإنما يجدر الفصل بينهما. ولا جديد في القول، إن العالم واجه الكثير من هذه الإشكالات، إبان صعود الاشتراكية، وخلال الحروب العالمية، آخذين بالاعتبار، عدم ضرورة تمتع الموسيقار او الشاعر والروائي مهما بلغ من العظمة بالحكمة السياسية، فإذا كان على صواب في الأدب، فلا يعني أنه على صواب في السياسة، والتاريخ القريب حافل بسقطات ارتكبها أدباء مثل الشاعر عزرا باوند والروائيين كنوت هامسن وسيلين، وإلى حد ما الفيلسوف هايدغر بخصوص النازية، وسارتر أيضاً في انحيازه لستالين في فترة ما. وقد بلغ التعنت ضدهم حد المطالبة باستبعاد إنتاج الفنان. كما في مطالبة إسرائيليين استبعاد فاغنر من تاريخ الفن، على خلفية موقفه من الساسية.

ولقد بذلت جهود كثيرة لإنقاذ باوند وسيلين وهامسن من عواقب تأييدهم للنازية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولم يحاسبوا كمجرمي حرب، وإذا كانت قد جرت محاكمتهم فمن الرأي العام، وكان للأدباء دور في إدانتهم، وأيضا في إنقاذهم، فالمحاكمة كانت أخلاقية، بسبب موقعهم الأدبي كمثقفين من حملة قيم الحرية والإنسانية والعدالة. عدا ما تتميز به محاكمات السياسة للأدب من انحياز أعمى، وهو أمر لصيق بها، تودي بها إلى إصدار أحكام متعسفة قصيرة النظر، فمن الأحكام السياسية من قبل الشيوعيين واليساريين جرى تصنيف نجيب محفوظ على أنه روائي البرجوازية الصغيرة، والدلالة على ذلك، الموظف المصري بطله الدائم. أين الفلاح والعامل والثوري والمناضل في رواياته؟ ما يعني أنه يكتب أدبًا لا يمثل الطليعة الاشتراكية. ولم يقصّر الإسلام السياسي في الحكم على نتاج إحسان عبد القدوس، متهمًا رواياته بالانحلال الأخلاقي والعفن والدنس وانعدام الضمير والدعارة والمتاجرة بالأجساد... هل هذه مصر؟ أين مصر المتدينة؟

ذلك في مصر، أما في سورية، فقد ارتكب أيديولوجيو الأدب مساخر، لا سيما في توزيع الأدباء السوريين «الضالين» إلى خانات بورجوازي وبورجوازي صغير وليبرالي رأسمالي ورجعي وعشائري، تحت رأية معاداة التقدم والتحول الاشتراكي، ولم ينج سوى القلة من خيانة الأدب والدولة والمجتمع. تجددت في هذا الزمن على نحو آخر، فاستعيد التاريخ نفسه كمهزلة للمرة الثانية، وكان الأولى لا تكفي، فادلجوا الأدب بما يتلاءم مع الأنظمة الشمولية في معركتها مع ثورات الشعوب، وذلك بتصنيف الأدباء إلى طائفي ووهابي واصولي وإرهابي، وتوغدوهم بزبانية الجحيم الأرضي.

بالعودة إلى علاقة الثقافة بالسياسة، إن لكل اتجاه سياسي دعواه في امتلاك الصوابية السياسية، يدافع عنها بكافة الوسائل، ولقد تنازع العالم في القرن الماضي صوابيتان، كانتا على طرفي نقيض... وبالنسبة للقرن الحالي فالصراعات لا تهدأ، ولن تزول، وفي هذا يمكن القول، لا يعول على الصوابية السياسية إلا بقدر توافقها مع قيم العدالة والحرية، وهي قيم الأدب الراسخة، وليس عن مصادفة.

> على الصوابية السياسية أن تتوافق مع قيم العدالة والحرية

(روائي من سورية)

لوحة «حفل تنكري» لـ فيليكس نوسباوم، 1927، زيت على قماش

قصيدة

طريقي إلى النور مصباح صغير

نيو أورلينز... الظلام الظلام

الظلام يدخل في نيو أورلينز/ نيو اورلينز تدخل في الظلام/ يدخلان في بعضهما البعض/ ويرقصان/ على احزاننا نحن الموتى في هذه المدينة/ نيو أورلينز/ الظلام الظلام

بوشعيب كادر

الظلام الظلام
أسمع عصف ريح حامية قادمة من بعيد
وابل من المطر،
تندفع الريح،
ريحٌ مُلتوية لولبية
وحين تَشتدّ فعلى شيء ما أن ينكسر.
■

احتمينا في بيوتنا
كالدواب في مرابطها
وراقبنا بعد كل هدأة
من خلف ستائر نوافذنا
ماذا فعلت الريح والماء بنا
اجتث جذور الأشجار،
أسقطت الأعمدة الكهربائية،
بعضُ البيوت
انخلعت أبوابها ونوافذها.
■

الظلام الظلام
اجلس في الظلام
في بيت مظلم
في مدينة مظلمة
في مستنقع كبير
مظلم
نيو أورلينز
اسم المدينة
اما أنا فلا اسم لي
اجلس في الظلام
طريقي إلى النور
مصباح صغير
يَشعّ منه ضوء خافت
وكلمات لم تدركها ظلمة بعد.
■

بعد خمسة أيام
عادت الكهرباء إلى مقبرة المدينة
أما الموتى الذين يسكنون هذه المدينة
فما زالوا ينتظرون.
■

يأتي عازف إلى المدينة
يعزف معزوفة على شرف موتى
يتجدّد موتهم كل يوم
أما الموتى الذين لم يموتوا بعد
فيحضر لهم العازف لحنا شجيا
يليق بموتهم في هذه المدينة.
■

آخر الأخبار
موجة خرز تعترض عجوزين وتنهي حياتهما.
■

أكياس مملوءة بالنفايات البشرية في دار العجزة.
■

تمساح يهجم على رجل في مخزنه
المجاور لبيته
ويَلحَسُ آخر قطرة دَم فيه
يغمض عينيه وينتظر زوجته.
■

جثة متعفنة تم العثور عليها
بجوار قناة تصريف المياه.
■

(شاعر وأكاديمي مغربي مقيم في مدينة نيو أورليز الأميركية، والقصيدة كتبت في الليلة التي ضرب فيها إعصارُ «إيدا» نيو أورليز أواخر الشهر الماضي)

من إعصار نيو اورليز، 29 آب/أغسطس الماضي (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

بداية من اليوم وحتى 26 من الشهر الجاري، تقام تظاهرة **دانتي 700** في «المعهد الثقافيّ الإيطاليّ» ببيروت، وضمنها يخصّص **مهرجان بيروت للأفلام الفنّية الوثائقية** ثماني سهرات للشاعر الإيطالي وكتابه الشهير «الكوميديا الالهية». تقام الفعاليات بأربع لغات هي: الإيطالية والفرنسية والإنكليزية والعربية.

يتحدّث الباحث الفرنسي **اغوستان غوميه** عن تاريخ الإصلاحات في الجزائر زمن الاستعمار، بداية من الثانية بعد ظهر اليوم بتوقيت باريس، في لقاء حواري مع **توما بيربيه** عبر تطبيق «زووم». يستند غوميه الى كتابه الاخير **الإسلام، الإصلاح، والاستعمار: تاريخ الإباضية في الجزائر** (الخلاف) وفيه يحاول تقديم قراءة في تاريخ المرحلة الاستعمارية من زاوية نظر الجزائريين.

تنظّم مجموعة من الجمعيات العربية في سويسرا يوم غد الاربعاء محاضرة بعنوان **التحدّيات الإستراتيجية للعالم الإسلامي** يلقيها استاذ العلوم السياسية في الجامعة التونسية **حاتم بن سالم** بداية من السادسة بتوقيت زيورخ. تقام المحاضرة عن طريق تطبيق «زووم» ويليها نقاش مع باحثين عرب مقيمين في سويسرا.

بعد غد الخميس، 16 من ايلول / سبتمبر الجاري، يقام بداية من السابعة مساء في «مكتبة ديوان» في القاهرة حفل توقيع كتاب **بليغ حمدي.. سلطان الألحان: حياته، تجلّياته، ماساته** للكاتب **ايمن الحكيم**. العمل صدر مؤخرًا عن منشورات «أنسان»، ويتضمّن مجموعة من الدراسات حول الاسلوب الفنّي للملحّن المصري.